

قطا ولا فارا واضطر الجميع أن {١} يستبدلوا الدعوة الى النصرانية دينهم
بالدعوة الى الاسلام مسالمة وخداعا

مابالنا نحن نستهنون زندقة المسلم الكامل ومروق العالم العامل. يحسبون

هيناً وهو عند الله عظيم

ما ذنب الشريعة الاسلامية اذن أن ترمى بالنقص والقصور فهل هو

قصورها الذاني أو قصورنا العرضي؛ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له:

(كل الصيد في جوف الفرا)

شط بي القلم وأخشي أن تطوح به طوايح الفكر الى الابتعاد عن دائرة

موضوعنا الاصيلي فأمسك بعنانه هنا مستقبلياً لا قرب فرصة تحرير هذا

المقام. وتحقيق معنى الاجتهاد. وكفالة الشريعة المحمدية بسعادة العباد

وصلاحية المعاش والمعاد البقية تأتي (محمود أبو النصر)

أستاذ اللغة العربية

بمدرسة اللغات الشرقية بباريس

{ سياحة سفن هدين }

في أواسط آسيا

(تابع ما قبله)

ولما كانت هذه الآلات لاتصله قبل ثلاثة أشهر على الاقل رأي أن

يقضي هذه المدة في استكشاف بعض جهات الامير وفي ديسمبر عاد من

كشغر الى مدينة خوتان لاستكشاف وادي (تاريم) مارا على مدينة يارقند أهم

مدينة في اقليم التتر كستان الصينية وبها كثير من الجوامع والمدارس وتجارتها

(١) أنظر محاضر جلسات الجمعية الجغرافية بباريس وجمعيات الاستعمار الافريقي

رائجة وبها كثير من الروس ثم سافر في ٢٣ ديسمبر من يارقند فوصل الى خوتان في ٣ يناير سنة ٩٥ فوجد بها مكونة من عدة قرى وأغلب سكانها مسلمون وبها مزارات (أضرحة) يقصدها المسلمون من جميع البلاد المجاورة لها بقصد التبرك

ومنها سافر الى مدينة اليجي وهي من أكبر مدن هذا الاقليم وبها سبع مدارس وعشرون مسجداً وعدد من المزارات وبها آثار برج قديم كان أقامه أحد أمراءها واسمه حاجي يادشاه. وفي ٩ يناير سنة ٩٥ ذهب الى مدينة براسان فوجد بها وبضواحيها آثارا كثيرة يونانية وهندية قديمة جدا وبالقرب منها يوجد نوع من العقيق اسمه *Nephrite*

وأغلب من يبحث عنه من الصينيين وبينهم قليل من المسلمين ومنها قصد صحراء تكلامكانا ثانياً للبحث عن آثار مدينة قديمة أبادتها الرمال وأخذ معه ما يلزم له هو ورفقائه من المؤونة مدة خمسين يوماً وبعد مسيرة أربعة أيام وصل الى أطلال تلك المدينة فوجد بها آثارا كثيرة دالة على قدم عهدها وانها تخربت من نحو ألف سنة تقريباً أي قبل انتشار الاسلام في هذه الجهات وأهم ما وجدته صور في حائط ذات أهمية عظيمة فيها نساء خفيفات الملابس قاعدات القرفصاء وتحت أنوفهن خطوط صفراء كالتي توجد الآن في وجوه الهندوس ثم وجد نقوشات أخرى بارزة بها صور ذوى لحي طويلة يشبهون بزيم وملايسهم سكان بلاد فارس وكثيرا من صور الحيوانات ثم أخذ يفجر في بعض البيوت المتخربة فوجد قطعة من ورق البوردي عليها كتابة مجهولة وقدم تمثال من الجبس بالقدر الطبيعي يظهر منها تمثال ليوذا معبود الهندوس ووجد كذلك عدة تماثيل من الجير طولها من عشرة الى عشرين سنتمتر تمثل معبود البوذيين

بالسأهيات مختلفة وكثيرا من أواني الفخار جميلة الصنع وبالاختصار وجد بهذه المدينة ما ثبت أن سكانها كانوا بالغين من التمدن درجة عظمى الا انه لم يمكنه معرفة تاريخ تأسيسها ولاتاريخ اندراسها وانما تحقق فقط انها سابقة على الفتح الاسلامي بدليل وجودهااته الاصنام البوذية ثم استكشف السائح وادي (كيرياداريا) وما على شاطئه من الغابات الكثيفة وزار أطلال مدينة أخرى أغارت عليها الرمال فدرست أغلب معالمها ويسمى سكان هذه الجهة وقره طاغ، وعثرفيها المترجم على آثار عربية استدل من وجودها على أنه كان بهذه الجهات طرق منتظمة وبجوارها قابل عدة قطعان من الجمال غير مستأنسة ومن المظنون ان الجمال لا توجد بهذه الحالة الا في هذا الاقليم

وبعد ذلك قصد السائح استكشاف وادي نهر تاريم الذي يصب في بحيرة «لوب نور»، وفي ٢٣ فبراير وصل مدينة «شاديار» بعد ان اخترق الصحرة الاسيوية من الجنوب الى الشمال وبعد ان راد حوض بحيرة «لوب نور» عاد الى مدينة (خوطان) للاستراحة والاستعداد للعودة الى بلاده الا انه لم يختر اقرب الطرق وأسلك المسالك بل صمم على اجتياز بلاد الصين من الغرب الى الشرق مارا بجمال التبت الى (بكين) عاصمة الصين ومنها يعود الى أوروبا عن بلاد الموغول فسيبريا

وفي ٣٠ يولييه سنة ٩٦ سافر الى بلاد (التبت) واجتاز الصيف الاول من جبال (كوين لون) العظيمة من مضيق ارتفاعه ٤٧٨٠ متر

وفي ٢٣ أغسطس ابتدأت القافلة في صعود جبل «ارقاطماع» أعلى الجبال التي تحزل دمن الوصول الى بلاد (التبت) من هذه الجهة الشمالية كما ان جبال هيمالايا تحول دونها من الجهة الجنوبية فوصل في صعوده الى ارتفاع

٥٥٨٠ مترا وبعدها سارت على هضاب (التبت) واستمرت في سيرها نحو ستة أسابيع لم ترفيها انسانا لخلو هذه الجهات العالية من السكان وقاست القافلة في هذه الرحلة بسبب البرد والزوابع الثلجية اكثر مما قاسته في صحري (تكلا مكان) من العطش وفقد في خلالها معظم ما كان معه من الحيوانات حيث كان معه في مبدئها ٥٦ دابة بين خيل وحمير لم يصل منها معه الا سبعة فقط وفي ٢٨ ستمبر وجد في طريقه آثار انسان فداخله البشر والايانس وترك الخوف والياس وفي اول اكتوبر قابل بعض الموغول بعد ان قضى ٥٥ يوما لا يرى فيها انسانا وبعد ان استراح يومين واشترى من هؤلاء القوم الرحل ثلاثة خيول سافر في ٤ اكتوبر موليا وجهه شطر المشرق فوصل في اليوم التالي الى مدينة تسمى (هاراتو) وبها اشترى عشرين حصانا وما يلزم من المعدات الضرورية ثم سارت القافلة محاذية للصحراء من جهة الجنوب مدة احدى عشر يوما الى أن وصل الى مدينة تدعى ' تنكه لك كول' ومنها عبر نهر ' تساي دام' ميمما نحو مدينة ' بكين' عاصمة الصين ولم يكن بينها وبينه الا ألفا كيلومتر

فمر في طريقه على بحيرات طسون نور (١) وعدة بحيرات أخرى أشهرها وأهمها { كورلوك نور } التي تسمى أيضا (قره نود) وقد صادف في طريقه بعض فرسان الموغول المشهورين بقطع الطرق وسلب القوافل فأخذ حذره وصار يرب الخفر ليلا بالمناوبة حتى لا يفاجئهم اللصوص أو يأخذوهم على غرة واستمر على هذا الحال من الخوف والقلق الى أن وصل الى بحيرة كوكونور (ومعناها البحيرة الزرقاء) وهي بحيرة عظيمة الاتساع طولها ١٠٧ كيلومترات

وعرضها ٦٣ تحيط بها جبال شاهقة ويبلغ ارتفاع سطحها عن البحر ٣٥٠٠
تقريبا وتسمى باللغة الصينية { تسنغ كاي } ويسكن حولها بطون من الموغول
تسمى « فانبجوت » تابعون للحكومة الصينية اسمافقط ويحكمهم شيوخهم بحسب
عواذهم القديمة وتكفي الحكومة الصينية منهم بجزية قليلة لا يدفعونها بانتظام
وهم يشتغلون بتربية الخيول والاغنام فهم يشبهون عرب البادية من أغلب
الوجوه وسارت القافلة ثلاثة أيام بحاذاة الشاطيء الشمالي بحيرة (كوكونور)
المذكورة ثم اجتازت الجبال التي تحد وادي هذه البحيرة من الجهة الشمالية ونزلت
الى السهول الصينية الممتدة الى المحيط الپاسيفيكي على مسافة ١٥٠٠ كيلو متر
واتبعت في طريقها نهرا يصب في نهر (هوانج هو) وقد لاحظ المترجم ان
للصينيين الاغلبية في هذه الجهات وان عنصرهم هو الساند على العناصر
الاخرى . وبعد نحو اسبوع وصل الى مدينة تدعى (تنكار) وجد بها زوجة
مرسلى هولاندي اسمه (ربنارد) آتى معها الى هذه الاقاليم السحيقة
لنشر المسيحية وقد توغل في البلاد وترك زوجته وصهره بين اقوام يابونونها
في الاخلاق والعوائد ووجد بها الوفد الذي يرسله والى بلاد التبت كل سنوات
مرة الى امبراطور الصين ليقدم له الجزية المفروضة وهى عبارة عن بعض أسلحة
وأقمشة وقواكه مجففة وأخشاب نفيسة مثل الصندل والعود وهذا الوفد يقطع
المسافة بين مدينة (كسسا) (١) عاصمة التبت ومدينة بكين ذهابا وايابا فى نحو
سنتين فتأتى أولا الى مدينة تنكار فى ثلاثة شهور ثم تستريح سنة كاملة وتسافر
منها الى بكين فتصلها فى نحو شهرين وبعد ان تقيم بها ثلاثة شهور تعود الى

(١) مدينة عظيمة فى وسط جبال التبت يبلغ عدد سكانها ٥٠٠ ألفا ويقوم بها رئيس البوذيين
الاعظم الملقب (ولاي لاما) وبها كثير من الاديرة وزارها قليل من الاوروبيين

تشارك ففقيم بها أربعة شهور ثم تعود الى التبت



﴿ سفن هدين ﴾

وبعد ذلك سافر هذا الرحالة الى مدينة { قوم بوم } ليرى ما بها من المعابد الشهيرة، ومن أغرب ما وجدته في هذه المدينة شجرة على أوراقها نقوش طبيعية تشبه في تمازجها الحروف الصينية المكونة بلمة يقولونها في صلواتهم ولذلك

يبيعها القسوس بأثمان غالية ويتنافس الزوار في اقتنائها تبركا ولقد بحث كثيرا عما اذا كانت النقوش طبيعية أو من أعمال القسوس فلم يهتد للحقيقة وفي ٢٥ نوفمبر وصل الى (سيفنج فو) وفيها افترق من خدامه الذين رافقوه من التركستان وأعطاهم { على قوله } ضعف أجرتهم مكافأة لهم على اخلاصهم له في هذه الرحلة الطويلة ولم يستبق معه الا (اسلام باي) . وفي أول ديسمبر اجتاز السور العظيم { ١ } ووصل الى مدينة (ببانج تشيفو) فوجد بها مكتبا للتغراف فأرسل في الحال رسالة الى ملك السويد يخبره فيها بنجاح رحلته وبعد ان استراح قليلا سافر منها في ٢٦ ديسمبر قاصدا مدينة (تسج هيا) لكن لم يتبع أسهل الطرق بل مر من الجزء الجنوبي من صحارى الاشان على مسافة ٤٦٥ كيلومترا ويوجد في هذه الصحراء بعض قبائل من المغول الرحل وعلى حافتها مدينة تدعى فرمافو، يأتون اليها للمقايضة على أغنامهم بملابس ودقيق وغيرها وبهذه المدينة أمير مغولي تابع لحكومة الصين أحسن مقابلة الرحالة وأخذ يستعلم منه عن بلاد السويد التي لم يسمع عنها قبل. وفي ١٨ يناير سنة ١٩٠٦ وصل الى مدينة تسج فوجد بها مرسلات سويديا أقام عنده الى ان بارحها وفي ٤ فبراير اجتاز نهر هوانج هو، على الثلج وبالاختصار وصل مدينة

(١) هو سور عظيم أقامه ملوك الصين من نحو أربع مائة سنة قبل المسيح اصعد هجمات قبائل التتر والمغول وطول هذا السور الفان وخمسمائة كيلو متر. يتبدى من خليج بيتشلى ويحده غربا الى صحاري جوبي وهو مكون من حائطين مليء ما بينهما بالتراب ورصف أعلاهما بالحجارة بحيث يستطيع من الفرسان أن يمروا فوقه واحدا بجانب الآخر وبعده أبواب تعلوها أبراج منيعة . وقد كان هذا السور كافيا لصد هجمات القبائل البرية من جهة الشمال الا انه لم يفد هاشيا لمنع الاوربيين الذين جاؤا هاجرا ولا الروس الذين جاؤوا من منشوريا فأخذوا وراء السور